



رسائل الثورة السورية المباركة (86)

لَا مُجَالَّةٌ بَعْدَ الْيَوْمِ (5)

## الخلاصة: نعيش معاً أو معاً نموت

هذه خامسة خمس مقالات كتبها تحت العنوان الفرعي الذي ترونه في رأس المقالة (لا مجاملة بعد اليوم)، بدأتها وأنا أكثُر قبولاً وأوفِرُ أصدقاء، وأنهياً اليوم وقد غضب مني وتفرق عني كثيرون. فأما الذي خسرته من قبول ومحبة فأرجو أن يعوضني عنه الله، وأما أن يُفهَم ما كتبته على غير وجهه فهذا ما لا أرضاه، فأكون قد دفعت الثمن ولم أصل إلى النتيجة المبتغاة.

## يا أيها السادة:

أنا ما كتبت في هذه المقالات حرفًا لأهجو أحدًا كما أني لم أكتب في غيرها حرفًا لأمدح أحدًا، فإني لست هجاءً ولست مدحًا، بل إن من عادتي - كلما قرأت ديواناً من دواوين الشعراء - أن أقفز من فوق بابي المديح والهجاء، تماماً كما أقفز من فوق باب الفخر، لأن الفخر غرور والمديح رياء والهجاء سفه وقلة أدب، ثلاث صفات لا أحبها في نفسي ولا أحبها في الناس. لقد خاطبتك أهل دمشق وهم مني وأنا منهم، فكيف أهجوهم؟ أيهجو أمرؤٌ نفسه؟ إنما أستحدث الصامتين والمترددين من أهل دمشق وأدعوهم إلى شرف الدنيا والآخرة، أما من يشارك من أهلها في الثورة بنفسه أو بماله أو بجهده ووقته فإنه لا يستحق إلا أسطر الذكر وأصدق الثناء، ولا سيما الذين يشاركون في مظاهرات وسط دمشق فيضعون أنفسهم في فم الأسد مختارين، أولئك أشجع من عرفت ولا يملك مثلي إلا أن يتيه بهم فخرًا لو كان الفخر جائزًا في دين الثورة، ولكن سبق القول أنه لا فخر لأحد على أحد وأن الثورة ملك وحق للجميل سواء بسواء.

خاطب العلماء الصادقين، وهم سادتنا الذين يسلكون بنا مسالك الهدى ويقودون الأمة في الليالي الحالات، وأعلم أن بعضهم من المواقف العظيمة في هذه الثورة ما سوف ترويه صحائف التاريخ كما تروي مواقف من مضى من علماء الأمة الكبار، كعلمي دمشق العظيمين الكبيرين ابن تيمية والعز بن عبد السلام. إنما نرجو أن يكون علماء دمشق كلهم من هذه البابة وأن يتعاونوا في حمل مشعل النور الذي يحتاج إليه العامة ليبصروا الطريق، وأن يكون توجيههم للناس واضحًا لا لجاجة فيه ولا مواربة: وجوب الثورة حتى إسقاط النظام.

خاطب المجلس الوطني وأعلم أن فيه عاملين جارين مخلصين وأعلم أنه السقف الذي نستظل به، هل ينقص السقف على نفسه إلا سفيه؟ إنما نريد أن يكون المجلس في الهمة والفاعلية بمستوى همة وفاعلية الثورة الميدانية على الأرض، ونرجو أن

يُصلح نفسه وأن يستبدل بغير الأكفاء أكفاء فاعلين. إن رجال الثورة وأعلامها فيهم فاضل وفيهم مفضول، فلئن كانت أزمنة الرخاء تقبل بتتصدر المفضول مع وجود الأفضل فإن أزمنة الشدة لا تقبل بديلاً بالأفضل، ولا يجوز أن يكون الشعب النبيح حقداً للتجارب ولا ميداناً لتطوير المواهب، ففي كل يوم جديد نخسر ألف مشرد وألف معذب ومئة شهيد.

يا أيها الإخوة:

إن الثورة في خطر والخسائر كثيرة والمعنويات في تراجع، فإذاً ندفع المركب ونمضي إلى البر أو نغرق ونموت جميعاً. لقد أبحرت سفينة الثورة منذ عام وصارت في وسط البحر؛ ربما كان الطريق طويلاً إلى ميناء الوصول ولكن الطريق الذي قطعته السفينة من يوم فارقت ميناءها الأول أيضاً طويلاً، وهي تعلم أنها لو وقفت وسط الموج الهائج فإن الغرق هو المصير، وإن عادت إلى مينائها الذي خرجت منه فإن ما ينتظرها هو النار والدمار، فلم يعد لها من خيار إلا الاستمرار. ليس أحد في هذه الثورة مستقلأً عن أحد، نحن في سفينة واحدة، فإذاً ننجو كلنا معاً ونصل إلى شاطئ الأمان أو تغرق سفينتنا ويبتلعنا اليم أجمعين.

\*\*\*

إن ثورة سوريا لن تتم إلا بثورة دمشق، وأولى الناس بدمشق هم علماؤها، فمن أجل ذلك خاطب أهل دمشق وخاطبت علماء دمشق. والثورة تحتاج إلى المجلس الوطني ممثلاً لها وحااماً لهموها ومحقاً لمطالبها، فمن أجل ذلك خاطب المجلس الوطني؛ فهي أثافي ثلاثة تستند الثورة إليها ويعتمد انتصارها - بعد إذن الله وأمر الله - عليها، وأيما أثافية منها سقطت سقطت الثورة معها.

خاطبهم فأغضبهم فتغضبوا؛ غضب مني بعض العلماء وعدد من أعضاء المجلس وكثير من الدمشقيين. لا تغضبوا يا أيها الكرام، إن كلماتي لا تضر ولا تنفع، إنما يضر وينفع العمل الذي ينبغي أن نعمله فلا نعمله أو ينبغي أن لا نعمله فنعمله، أنا وأنتم وأطراف الثورة أجمعون، لا أستثنى نفسي بل أصدر بها قائمة من يحتاج إلى النصيحة والنقد ومن يطلب من إخوانه الرأي والتوجيه.

أحد الفضلاء علق على المقالات عاتباً فقال إنها تدخل في باب "وأقبل بعضهم على بعض يتلاؤمون"، والتلاؤم يوغر الصدور ولا يفيد. هذا الأخ أرفع مني مقاماً في العلم والفضل، ولكني لا أواافقه في تفسيره، وإذا فهموني هذا المعنى فلا بد أنني أأسأه التعبير، فآخر ما أريده من كتابتي هو أن تتحول إلى ميدان تلاؤم بين بعض أهل الثورة وبعض أهلها الآخرين. لسنا متلاؤمين يا أخي الفاضل وما ينبغي لنا أن تكون، بل نحن - إن شاء الله - متناصرون.

إن التلاؤم المذكور في الآية هو حالة سلبية أعقبت الفشل، وما نحن فيه الآن حالة إيجابية تسبق الفشل وتحاول منعه. التلاؤم السلبي المذموم ينشغل بالماضي ولا ينظر إلى المستقبل: لماذا بدأتم بالثورة؟ أليس قد عشنا من قبل في أمان؟... التلاؤم السلبي المذموم هو جولات من التراشق الساخط: أنتم المخطئون لأنكم تسرعتم ولم تحسنوا التقدير. لا، بل أنتم الملومون لأنكم تقاعستم وترددتم. نحن، أنتم، نحن... يتشاغلون بتبادل التهم واحتراق الأعذار والنار تلتهم الدار!

كل ذلك عبث لا يفيد. الصواب الذي يسعى إليه العقلاء هو النظر إلى المستقبل والبحث عن الحلول واستئناف الهم، وحتى لو كان استئنافاً قاسياً فإنه يبقى مقبولاً طالما كان خالياً من مأرب النفس وقائماً على الإخلاص وتحري الصواب.

\*\*\*

يا أهل سوريا الكرام، يا أهل دمشق ويا أهل حلب، يا أيها العامة ويا أيها العلماء، يا أيها الثوار ويا أيها الساسة: ليس أحد في أمان إذا فشلت الثورة - لا قدر الله - وإذا بقي النظام. الكل في مركب الثورة واحد، ليس فريقاً أولى بالثورة وبالمشاركة بالثورة وبدعم الثورة من فريق، فالكل ناجٍ أو الكل غريق. ضعوا اليد في اليد ورُصوا الصفوف إلى الصفوف، لا يختلفون منكم أحدٌ ولا يتقاعسون عن نصرة الثورة أحد. إن طريقنا واحد

ونهايتها واحدة، فإذاً أن ننجح وننجو معاً أو نفشل معاً ونموت معاً نموت.

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: